أعلام الإسلام

٢ ـ سعيد بن المسيب

للأستاذ ناجي الطنطاوي

ضربه وحبسه

قال عبد الله بن جعفر وغيره : استعمل عبد الله بن الزبير جابر بن الأسود بن عوف الزهري على المدينة ، فدعا الناس إلى البيعة لابن الزبير فقال سعيد بن المسيب : لا : حتى يجتمع الناس ، فضربه ستين سوطاً ، فصاح به سعيد والسياط تأخذه : والله ما ربعت على كتاب الله ، يقول الله : انكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، وإنك تزوجت الخامسة قبل انقضاء عدة الرابعة ، وما هي إلا ليال فاصنع ما بدالك ، فسوف يأتيك ما تكره . فما مكث إلا يسيرا حتى قتل ابن الزبير . وروى أن ابن الزبير لما بلغه ضرب ابن المسيب كتب إلى جابر يلومه ويقول : ما لنا ولسعيد ؟ دعه

وقال يحيى بن سعيد : كتب والي المدينة إلى عبد الملك بن مروان : إن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة للوليد وسليمان [1] إلا سعيد بن المسيب . فكتب أن اعرضه على السيف ، فان مضى وإلا فاجلده خمسين جلدة ، وطف به أسواق المدينة [2] . فلما قدم الكتاب على الوالي ، دخل سليمان بن يسار ، وعروة بن الزبير ، وسالم بن عبد الله ، على سعيد بن المسيب ، فقالوا : إنا قد جئناك في أمر : قد قدم فيك كتاب من عبد الملك بن مروان إن لم تبايع ضربت عنقك ، ونحن نعرض عليك خصالاً ثلاثاً ، فاعطنا إحداهن ، فان الوالي قد قبل منك أن يقرأ عليك الكتاب فلا تقل « بلا » ولا « نعم » ، قال : فيقول الناس بايع سعيد بن المسيب ؛ ما أنا بفاعل . (قال) : وكان إذا قال : لا ، لم يطيقوا عليه أن يقول نعم . قال : مضت واحدة وبقيت اثنتان . قالوا : فتجلس في بيتك فلا تخرج إلى الصلاة أياماً ، فانه يقبل منك إذا طلبت في مجلسك فلم يجدك . قال : وأنا أسمع الأذان فوق أذني : حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح ؟ ما أنا بفاعل . مضت اثنتان وبقيت واحدة . قالوا : فانتقل من مجلسك إلى غيره ، فانه يرسل إلى مجلسك فان لم يجدك أمسك عنك . قال : فرقاً لمخلوق [1] ؟ ما أنا بمتقدم لذلك شبراً ولا متأخر شبراً . فخرجوا وخرج إلى الصلاة ، صلاة الظهر ، فجلس في مجلسه الذي كان يجلس فيه ، فلما صلى الوالي بعث اليه فأتي به ، فقال : إن أمير المؤمنين كتب يأمرنا إن لم تبايع ضربنا عنقك ، قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيعتين [2] فلما رآه لا يجيب أخرج الى السدة فمدّت عنقه وسلّت عليه السيوف ، فلما رآه قد مضى أمر به فجرّد ، فاذا عليه تبّان شعر فقال : لو علمت أني لا أقتل ما اشتهرت بهذا التبّان [3] ، فضربه خمسين سوطاً ثم طاف به أسواق المدينة ، فلما ردّه [4] والناس منصرفون من صلاة العصر قال : إن هذه لوجوه ما نظرت اليها منذ أربعين سنة

وروى أن سعيداً لما جرّد ليضرب ، قالت له امرأة : إنّ هذا لمقام الخزي ، فقال لها سعيد : من مقام الخزي فررنا

وقال قتادة : أتيت سعيد بن المسيّب ، وقد ألبس تبّان شعر وأقيم في الشمس فقلت لقائدي : أدنني منه فأدناني منه ، فجعلت أسأله خوفا من أن يفوتني وهو يجيبني حسبة والناس يتعجبون

(١) عقد عبد الملك لابنيه بالعهد بعد موت عبد العزيز بن مروان بمصر سنة ٨٤

(٢) روى رجاء أن عبد الملك كتب اليه : مالك ولسعيد ؟ ما كان علينا منه شيء نكرهه ، فأما إذ فعلت فاضربه ثلاثين سوطاً وألبسه التبان وأوقفه للناس لئلا يقتدي به الناس . وفي رواية أن هشاماً ضرب ابن المسيب من غير أن يستأذن عبد الملك في ضربه

(١) لعلها : من مخلوق

(٢) وروى أنه قال : لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فقيل ادخل من الباب واخرج من الآخر قال : والله لا يقتدى بي . وفي رواية أنه قال : لا أبايع وعبد الملك حي

(٣) وقيل إن هشاما ألبسه التبان وطاف به حتى بلغ رأس الثنية ، فلما كروا به قال : أين تكرون بي قالوا : إلى السجن . قال : والله لولا أني ظننت أنه الصلب ما لبست هذا التبان أبداً ، فرده إلى السجن وحبسه . وفي رواية أن الأيليين (نسبة لأيلة) الذين كانوا في شرطة المدينة قالوا : علمنا أنه لا يلبس التبان طائعا فقلنا له : يا أبا محمد ، إنه القتل فاستر عورتك فلبسه ، فلما ضرب قلنا له : إنا خدعناك . قال : يا معجلة أهل أيله ، لولا أني ظننت أنه القتل ما لبسته

(٤) إلى السجن

وقال عبد الله بن يزيد الهذلى : دخلت على سعيد بن المسيّب السجن ، فاذا هو قد ذبحت له شاة ، فجعل الاهاب على ظهره ، ثم جعلوا له بعد ذلك قضباً [1] رطباً ، وكان كلما نظر الى عضديه قال : اللهم انصرنى من هشام

وقال أسلم أبو أمية مولى بنى مخزوم وكان ثقة : صنعت ابنة سعيد بن المسيّب طعاماً كثيراً حين حبس ، فبعثت به اليه ، فلما جاء الطعام دعانى سعيد فقال : اذهب الى ابنتى فقل لها : لا تعودى لمثل هذا أبداً ، فهذه حاجة هشام بن اسماعيل ، يريد أن يذهب مالى فأحتاج الى ما فى أيديهم وأنا لا أدرى ما أحبس ، فانظرى الى القوت الذى كنت آكل فى بيتى فابعثى الىّ به ، فكانت تبعث اليه بذلك ، وكان يصوم الدهر

وقال قتادة عن سعيد بن المسيّب إنه كان إذا أراد الرجل أن يجالسه قال : إنهم قد جلدونى ، ومنعوا الناس أن يجالسونى

وقال عبد الله بن جعفر وغيره : كتب هشام بن إسماعيل إلى عبد الملك بن مروان يخبره بخلاف سعيد بعد أن وضعه فى السجن وما كان من أمره ، فكتب إليه عبد الملك يلومه فيما صنع به ويقول : سعيد كان والله أحوج إلى أن تصل رحمه من أن تضربه ، وإنا لنعلم ما عند سعيد شقاق ولا خلاف [2]

وقال الواقدى : كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يأمره أن يقف هشام بن اسماعيل للناس ، وكان فيه سيء الرأى ، فدعا سعيد ابنه ومواليه فقال : ان هذا الرجل يوقف للناس أو قد وُقف فلا يتعرض له أحد ، ولا يؤذه بكلمة ، فانا سنترك ذلك لله وللرحم ، فان كان ما علمت لسيء النظر لنفسه فأما كلامه فلا أكلمه أبداً !

وقال عمران : كان لسعيد بن المسيب فى بيت المال بضعة وثلاثون ألفاً عطاؤه ، فكان يدعى إليها فيأبى ويقول : لا حاجة لى فيها حتى يحكم الله بينى وبين بنى مروان !

معاملته للخلفاء والولاة

قال على بن زيد : قيل لسعيد بن المسيب : ما شأن الحجاج لا يبعث إليك ، ولا يحركك ، ولا يؤذيك ؟ قال : والله لا أدرى إلا أنه دخل ذات يوم مع ابنه المسجد ، فصلى صلاة ، فجعل لا يتم ركوعها ولا سجودها ، فأخذت كفاً من حصى فحصبته به ، زعم أن الحجاج قال :

ما زلت بعد ذلك أحسن الصلاة

وقال عمران بن عبد الله بن طلحة بن خلف الخزاعىّ : حجّ عبد الملك بن مروان ، فلما قدم المدينة فوقف على باب المسجد ، أرسل إلى سعيد بن المسيب رجلاً يدعوه ولا يحركه ؛ قال : فأتاه الرسول وقال : أمير المؤمنين واقف بالباب يريد أن يكلمك ، فقال ما لأمير المؤمنين الى حاجة ، وما لى إليه حاجة ، وإن حاجته إلى لغير مقضية ! قال : فرجع الرسول إليه فأخبره فقال له : أجب أمير المؤمنين ، فقال له سعيد ما قال له أولاً . فقال له الرسول : لولا أنه تقدم الى فيك ما ذهبت اليه إلا برأسك . يرسل إليك أمير المؤمنين يكلمك تقول له مثل هذه المقالة ؟ ! فقال : إن كان يريد أن يصنع بى خيراً فهو لك ، وان كان غير ذلك فلا أحل حبوتى حتى يقضى ما هو قاض . فأتاه فأخبره فقال : رحم الله أبا محمد ، أبى الا صلابة

وقال عمرو بن عاصم : لما استخلف الوليد بن عبد الملك ، قدم المدينة فدخل المسجد فرأى شيخاً قد اجتمع الناس عليه ، فقال : من هذا ؟ فقالوا سعيد بن المسيّب ؛ فلما جلس أرسل اليه فأتاه الرسول فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : لعلك أخطأت باسمى أو لعله أرسلك الى غيرى ! قال : فأتاه الرسول فأخبره ، فغضب وهمّ به ، قال : وفى الناس يومئذ بقية ، فأقبل عليه جلساؤه فقالوا : يا أمير المؤمنين فقيه أهل المدينة ، وشيخ قريش ، وصديق أبيك ، لم يطمع ملك قبلك أن يأتيه . قال : فما زالوا به حتى أضرب عنه

وقال ميمون بن مهران : قدم عبد الملك بن مروان المدينة ، فامتنعت منه القائلة واستيقظ ، فقال لحاجبه : أنظر هل فى المسجد أحد من حداثنا من أهل المدينة ؟ فخرج فاذا سعيد بن المسيّب فى حلقة له ، فقام حيث ينظر اليه ، ثم غمزه وأشار اليه بأصبعه ثم ولى ؛ فلم يتحرك سعيد ولم يتبعه . فقال : ما أراه فطن ، فجاء فدنا منه ثم غمزه وأشار اليه وقال : ألم ترنى أشير اليك ؟ قال :

(١) القضب : الرطبة (وهى الفصفصة) وقيل كل نبت اقتضب فأكل طريا (٢) وروى أن هشاماً جاءه كتاب من عبد الملك بن مروان يلومه فى ضربه سعيد بن المسيب ويقول : ماضرك لو تركت سعيداً ووطئت ما قال ؟ فندم هشام بن اسماعيل على ما صنع بسعيد فخلى سبيله

وما حاجتك ؟ قال : استيقظ أمير المؤمنين ، فقال : أنظر فى المسجد أحد من حداثى ، فأجب أمير المؤمنين ، فقال ، أرسلك الىّ ؟ قال : لا ، ولكن قال اذهب فانظر بعض حداثنا من أهل المدينة ، فلم أر أحدا أهيأ منك . فقال سعيد : اذهب فأعلمه أنى لست من حداثه ! فخرج الحاجب وهو يقول : ما أرى هذا الشيخ إلاّ مجنونا ! فأتى عبد الملك فقال له : ما وجدت فى المسجد إلا شيخاً أشرت اليه فلم يقم ، فقلت له إن أمير المؤمنين قال انظر هل ترى فى المسجد أحداً من حداثى فقال : إنى لست من حداث أمير المؤمنين . وقال لى : أعلمه ، فقال عبد الملك : ذاك سعيد بن المسيّب ، فدعه

وقال هشام بن عروة : لما تزوج الحجاج ، وهو أمير المدينة بنت عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، أتى رجل سعيد بن المسيب فذكر له ذلك ، فقال . إنى لأرجو ألا يجمع الله بينهما ، ولقد دعا داع بذلك وابتهل ؛ وعسى الله ؛ فان أباها لم يزوج إلا الدراهم ، فلما بلغ ذلك عبد الملك بن مروان أبرد البريد الى الحجاج وكتب اليه يغلظ له ويقصر به ويذكر تجاوزه قدره ، ويقسم بالله لئن هو مسّها ليقطعنّ أحبّ أعضائه اليه ، ويأمره بتسويغ أيها المهر ، وبتعجيل فراقها ، ففعل فما بقى أحد إلاّ سره ذلك

وقال المطلب بن السائب : كنت جالساً مع سعيد بن المسيب فى السوق فمرّ بريد لبنى مروان ، فقال له سعيد : من رسل بنى مروان أنت ؟ قال : نعم : قال : كيف تركت بنى مروان ؟ قال : بخير . قال : تركتهم يجيعون الناس ويشبعون الكلاب ! فاشرأبّ الرسول ، فقمت اليه فلم أزل أرجيه حتى انطلق فقلت لسعيد : يغفر الله لك ، تشيط بدمك ؟ فقال : أسكت يا أحيمق ! فو الله لا يسلّمنى الله ما أخذت بحقوقه

وقال صالح بن كيسان : حجّ الوليد بن عبد الملك ، فلما دخل المدينة عدا إلى المسجد ينظر إلى بنائه ، فأخرج الناس منه ، فما ترك فيه أحد ، وبقى سعيد بن المسيّب ما يجترىء أحد من الحرس أن يخرجه ! وما عليه إلا ريطتان ما تساويان إلا خمسة دراهم فى مصلاه . فقيل له : لو قمت ، قال : والله لا أقوم حتى يأتى الوقت الذى كنت أقوم فيه . قيل : فلو سلّمت على أمير المؤمنين . قال : والله لا أقوم إليه ! قال عمر بن عبد العزيز فجعلت أعدل بالوليد فى ناحية المسجد رجاء ألا يرى سعيداً حتى يقوم ، فخانت من الوليد نظرة إلى القبلة فقال : من ذلك الجالس ؟ أهو الشيخ سعيد بن المسيّب ؟ فجعل عمر يقول : نعم يا أمير المؤمنين ، ومن حاله ، ومن حاله ، ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك ، وهو ضعيف البصر . قال الوليد : قد علمت حاله ، ونحن نأتيه فنسلم عليه فدار فى المسجد حتى وقف على القبر ، ثم أقبل حتى وقف على سعيد فقال : كيف أنت أيها الشيخ ؟ فو الله ما تحرّك سعيد ولا قام ! فقال : بخير والحمد لله يا أمير المؤمنين . قال الوليد : خير والحمد لله . فانصرف وهو يقول لعمر : هذا بقية الناس . فقلت : أجل يا أمير المؤمنين

رفض أخذ العطاء

قال عمران بن عبد الله : كان سعيد بن المسيب لا يقبل من أحد شيئاً لا ديناراً ولا درهماً ولا شيئاً ، وربما عرض عليه الأشربة فيعرض فليس يشرب من شراب أحد منهم

وقال العجلى وغيره : كان لا يقبل جوائز السلطان [1] ، وله أربع مائة دينار يتّجر فيها بالزيت وغيره

(يتبع)

ناجى الطنطاوى

(١) وقد مر أنه كان له فى بيت المال بضعة وثلاثون ألفاً عطاؤه كان يدعى إليه فيأبى ويقول : لا حاجة لى فيها ، حتى يحكم الله بينى وبين بنى مروان

أصدرت مكتبة الجيب

رجل

مؤذن فى القرية كان يرسل الصوت الشجى فى السحر ... فيشدو الطير ويترنم الغصن ويتحرك الجماد ويسبح الوجود كله لله واعترضت طريقه امرأة . . . فانقطع الصوت فجأة ... بعد ساعة أزلية مرت كالعاصفة . . . . . .

لمحمود البدوى

فى مكاتب القاهرة وثمنها قرشان